توظيف التناص مع الأمثال العربية في ديوان فتيّان الشاغُوري

Intertextuality with Arabic proverbs in the Diwan of Fitian Shaghouri

أحمد خميس كردي
د. هلال محمد جهاد
جامعة الحمدانية- كلية التربية

Ahmed Khamis Kurdi
Dr. Hilal Muhammad jihad
University Al Hamdaniyah - College of Education.

ahmedkhmess92@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/٦/٢٦ تاريخ القبول ٢٠٢٢/٧/١٧

الكلمات المفتاحية: التناص، الأمثال العربية، فتيان الشاغوري، الثقافة

Keywords: Intertextuality, Arabic proverbs, Shaghouri boys, culture

الملخص

تُعد الأمثال العربية مصدراً مهما من مصادر النثر العربي خاصة والأدب العربي بصورة عامة،إذ يرتبط كل مثل بحادثة أو قصة وقعت بالفعل، لذلك تستدعيها الأجيال مع كل حدث يشترك مضمونه مع قصة المثل المستدعى، ومن هذا المنطلق وظف شاعرنا فتْيانُ الشَاغُوري الأمثال في مختلف اغراض الشعر وبلغة شعرية تضفي على النص ثراءً متنوعا، وقد تناص معها بطريقتين الأولى تتقاطع مع المثل في التشكيل والمضمون والثانية تتوافق مع المثل في المضمون أو تشكيله مع وجود حذف أو زيادة أو تقديم في سياق المثل المتناص معه، وقد مكنته في ذلك ثقافته اللغّوية الكبيرة وحرفته في كيفية توظيف تلك الأمثال، واتبعت في تحليلي للمبحث المنهج التحليلي الفنيّ. وقد توصل البحث إلى أن الشاعر وظف التناص مع الأمثال لتحقيق غايته باعتبارها وسيلة لتلك الغايات وكان يختصر من خلالها احداثا أو قصص طويلة حدثت في الماضي فاختصرتها تلك الأمثال وتقاطعت تلك الأمثال مع حوادث آنية في المضمون والمغزى فاستحضرها الشاعر عند مقتضى الحال.

Abstract

Arabic proverbs are an important source of Arabic prose in particular and Arabic literature in general, as each proverb is related to an incident or story that has already occurred, Therefore, generations recall it with every event whose content shares the story of the summoned proverb. In this sense, our poet Fitian Al Shaaghouri hired proverb in various purposes of poetry and in a poetic language that gives the text a variety of richness. It may be stated in two ways: the first intersects with the proverb in composition and content, and the second corresponds to the proverb in content or formation with the presence of omissions, increase or presentation in the context of the quoted proverb. The research found that the poet had employed parables to achieve his purpose as a means to those ends, by which he summed up long stories or events of the past that had been shortened by them and intersected by immediate events in content and meaning that the poet recalled when necessary.

وقبل الدخول إلى موضوع البحث سنعرف بالشاعر أولاً، ثم نعرف بالتناص ثانياً.

فتيّان الشاغُوري (ت ٦١٥هـ): هو أبو محمد فتيان بن علي جمال الدين الأسدي النحوي(١)، وقد عاش في عصر الأيوبيين وعمل معلمٌ في دمشق. وكان يتكسب من قول الشعر.

أما التناص فسنعرفه لغة وأصطلاحاً:

التناص لغة: "نص الحديث إليه : رفعّه، ونصّ الشيء: أظهره وحركهُ، وجعلَ بعضهُ فوق بعضٍ"(٢).

التناص أصطلاحاً: إن التناص كمصطلح ظهر في الساحة النقدّية إلى حيز الوجود الفعلي على يد الناقدة الفرنسية – البغارية الأصل– (جوليا كريستيفا) في بحوثها فتبنته جماعة (تيل كيل – Quel tel) النقدية(٣) وهو تداخل النصوص وفق مستويات يعبر عنها الشاعر أو الراوي أو القاص.

توظيف التناص مع الأمثال العربية في ديوان فتيّان الشاغُوري:

للتناص مع الأمثال مساحة واسعة في ديوان فتيان الشاغوري*، لما لها من وقع في نفس المتلقي ناهيك عن إتصالها بالماضي وما طرأ عليه من مواقف وثقافات، فالشاعر من خلال المثل يصور لنا الاحداث بلغةٍ سهلة يتفاعل معها المتلقي بمختلف الثقافة سواء أكان عاديا أم أديباً، وبذلك يمكن عدّها مصدرا مهما من مصادر ثقافة الشعوب وقد أتّكأ عليها الشاغوري في توظيف أشعاره، ويكمن وصفها بذلك المضمون أو المغزى الذي يقف خلف قصة أو سرد حدث ما فيختصر المثل تلك القصة أو الأحداث بنص أو قول لا اسهاب فيه، ويستدعيه الشاعر من أجل البوح والإفصاح عن الغاية الموجودة في ذلك الإستدعاء . ان الأمثال تعد نص نثري يحاكي حياة الشعوب بمخالفة الأشكال فهو الواقع نفسه بمختلف الأزمنة ولم يقله السابقين اعتباطاً بل جاء نتيجة لفعل، فالمثل يدخل كأي عمل أدبي يدخل في

---

(١) ديوان فتيان االشاغوري، عبد الرحمن النجدي ، تحقيق :تحقيق أحمد الجندي ، المطبعة الهاشمية ،دمشق، ١٩٧٦: ٥.

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر، بيروت ،ج.٧، ١٩٩٣: ٩٧ .(نصص).

(٣) ينظر: أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفيتان تودوروف وآخرون، ترجمة:أحمد المديني، الدار البيضاء ، المغرب، ط٢، ١٩٨٩: ١٠١.

* شاعر سوري عاش في العصر الأيوبي ،عمل معلمٌ في منطقة شاغور ، وكان يتكسب من خلال شعره.

شجرة نسب عريقة وممتدة كالإنسان تماما، إذ إنه لا يأتي من فراغ ولا يفضي إلى فراغ، فهو نتاج أدبي لغوي لمراحل سابقة من المورثات الأدبية، كما يمكن عده بإنه بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه.فكما أن الإنسان والنبات يمرا بمرحلة الاخصاب والإنتاج فكذلك النص الأدبي(١).وأن القارئ لدايون الشاغوري يرى "انعكاسَ اطلاعِ الشاعر على الأمثال العربية ومعرفته الكبيرة بها في نتاجه الشعري؛ إذ نجده يحيلها بالتناص طرائق لتوليد المعاني، والدلالات المتنوعة بشكل يتغلغل فيه هذا الموروث في مقطوعاته، ومفاصل قصائده"(٢)،وقد ساهمت هذه الأمثال في تحقيق مراد الشاعر بإضفاء دلالات على النص الشعري تبرز في المضمون وتصور لنا العالم المحسوس، وللأمثال قوة تأثير في المتلقي فهي تنبع من صميم الواقع المعاش.كما ان القارئ لديوان الشاغوري يلحظ أهتمامه الكبير بالموروث الشعبي لا سيما في الامثال التي ترتبط بوقائع تاريخية ومحملة بالاحداث. ويمتلك الشاغوري خيالا واسعا يمكنه من استحضار الصور الذهنية في الزمان والمكان المناسب ،فهو يسلك أساليب تستوعب كل هذا الاتساع وهذا التزاحم، مستعملاً بذلك تراكيبا لغوية أو لهجات نادرة أو معاني توحي بالغرابة لعدم وضوحها(٣) ،ونعزو سبب ذلك إلى ثقافته العامة .

للشاغوري مخزون ثقافي كبير وجدناه من خلال إطلاعه على دواوين الشعراء السابقين بمختلف الأزمنة من الجاهلي مرورا بالأموي فالعباسي؛وأيضّاً من خلال إلمامه بالفنون النثرية كالأمثال فالشاعر وظف مثلا يحمل في جوهره مردودا سلبياً ونظرة تشأوم ودلالات حزن مختلفة يقول فيه(٤):

وَصاحَ غُرابُ البَينِ وَانشَقَّتِ العَصا وَرَدَّ عَذولٌ في الهَوى وَنَصيحُ
أَجيرانَنا بِالرَقمَتَينِ عَلَيكُمُ سَلامٌ كَعَرفِ المَندلِيِّ يَفوحُ

(١) ينظر: ثقافة الأسئلة(مقالات في النقد والنظرية)،عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، القاهرة،ط٢، ١٩٩٣: ١١١.

(٢) التناص في شعر صفيّ الدين الحلّي،مقداد خليل قاسم الخاتوني، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ٢٠٢٣: ١٤٥.

(٣) ينظر: لغة الشعر عند المعري(دراسة فنيّة في سقط الزند)،زهير غازي زاهد،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٩: ٧٩.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري، عبد الرحمن النجدي، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق:٨١.

يقف الشاعر عند المثل العربي" **أشأَمُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ**"[١] إذ مهد الشاعر من خلال هذا البيت للقول الذي بعده واصفا به حالهم وما أصبحوا عليه بعد أن فارقهم الممدوح،فالشاعر وظف المثل وفق ما يعنيه ولم يغير أو يضفي عليه معناً آخر،كما أشار إلى بعد المسافة بينهم إلا إنهم لم يقطعوا الوصل معهم، ويظهر الشاعر حجم الفقد ومداه من خلال استعارته بدلالات ثلاث حملت في طياته أبعادًا نفسية تمثل الأولى صياح **غراب البيين** فيما دلت الثانية "**وَانشَقَّتِ العَصا**" على البعد والفراق أيضًا،وفي الثالثة"**وَرَدَّ عَذولٌ في الهَوى**" إذ شبه الشاعر حاله بالعاشق الذي يفقد حبيبه إذ يبقى يهذي بإسمه مؤكدا بذلك قوله بقينا على الودّ والعهد معكم متصلين والوصل هو السلام .وجيء بجناسٍ ناقصٍ تمثل في" **صاحَ،نَصيحُ**" جاء الأول بمعنى صوت الغراب وصياحه اما الثاني فحمل دلالة معنوية إذ جاء بمعنى نهتف ونصيح بأسمائكم شوقا.

وصنعة الشاعر اللغوية والفنيّة تمكنه من سياق النص الشعري وفق منظور جمالي يراه، فيستغل تلك الصنعة من خلال استدعائه للتناص وتوظيفه في معاني جديدة أو على غرار سابقها بأسلوب يتميز به الشاعر فنراه يستحضر نصاً فيه مثلٌ آخر فيه إشارة إلى الإبتعاد والكف من اللّوم العذل له لا سيما وان الحب قد وقع ، قال[٢]:

مَهلاً بِقَلبي في الهَوى يا عاذِلي مَه لا تَلُمني، سَبقَ السَيفُ العَذَل

نلمح المثل العربي واضحاً في عجز البيت متمثلاً في" **سَبقَ السَيفُ العَذَل**"[٣] ،والذي حمل في مضمونه وقع الذي تلمني لأجله فأكفف وانهي تلك الملامة،ارتبط المثل بالقتل بيدَّ أن الشاعر نقل وقع السيف من المحسوس إلى المعنوي ، فالشاعر وصف شيء "ويريد شيئاً آخر،وهذه هي إحدى سمات الشعر الرفيع،أن يكون له مستوى من المعنى الظاهر ،ومستوى آخر تشف عنه العبارات،وتومىء له الصور"[٤]، ونلحظ إبتداء الشاعر بالمفعول المطلق مهلاّ واصلها تمهل مهلا أي خف على قلبي بلومك،ويقال الكلام يفسره ما قبله فالشاعر مهد للمثل مستعملاً النداء والأمر والنهي والتوكيد والتي أفادت وقوع الحدث وتضمنت القتل مجازا. وحمل المثل دلالات تناسقت وتوافقت مع ما يحمله النص من ألفاظ كان الشاعر

---

(١) مجمع الأمثال، ابي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، تعليق حسين الزرزوري، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، ٢٠٠٤،ج٣٩٦/٢.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري :٣٦٩.

(٣) مجمع الأمثال، ج٣٤١/٢.

(٤) الرؤية الداخلية للنص الشعري (محاولة في تأصيل منهج)، أنس داود، دار الجبل للطباعة، الفجّالة ، ١٩٧٥: ٦.

استدعاها ليتفاعل المتلقي معها لما تحمله من وقع في النفس ونلمس في النص أيضّا قوة في التركيب عززت في إيصال المعنى والإفصاح عمّا يصبو إليه القائل.

ويتناص الشاعر مع المثل العربي " **حَبْلَكِ علىَ غَارِبِكِ**"(١) واصفاً بذلك حاله وما أصبح عليه ،إذ ان الهوى أو الحب هو من ألقى الحبل ،فالشاعر وظف النص بلغة شعرية أسهمت في ترسيخ صورة عن مدى تأثير الهوى في المحبوب فجاء النص معاكس تماما لفكرة المثل فالثاني جاء بمعنى إطلاق السراح وتركه يذهب إلى حيث يريد ،في حين أن النص دل على التقييد والتعلق إذا لا مفر منه وبرز ذلك في قول الشاعر(٢):

أَلقى الهَوى حَبلي عَلى غارِبي فَهِمتُ حَتّى ما فَهِمتُ المَلام

فالنص الشعري حمل في داخله أبعاداً دلالية بلاغية ونفسية فاقت ما موجود في المثل " لينتزع منها مضامين تبتعد عن المعنى القديم المألوف بوصفها _الأمثال_تكتنز معانٍ قابلة للحوار والعكس؛ لتكون ذات أهمية كبيرة في التعبير عن مكنونات الذات المبدعة والإشارة إلى طبعها،وكل ما يتصل بنزوعها الفكري"(٣) ومن هذا المنطلق غيّر الشاعر من خريطة المثل ليضفي لنصه معنى جديداً، ونلمح جناساً تاماً تمثل في مفردتيّ " **فَهِمتُ، فَهِمتُ**" وقد جاءتا متفقتين في أنواع الحروف وهيئاتها وأعدادها وترتيبها، بيد أن الأولى دلت على الهيام أي الافراط في الحب،والثانية أفادت الفهم أي استوعب العقل،وجاء معنى العجز من شدة جنوني بحبه لم افهم ما قالوه من لومٍ وعذل فالأداة "**ما**" نفت وقوع الفهم.

ويلقي الضوء على ظاهرة اجتماعية تعد من الظواهر التي تعكس مردوداً سلبياً على العلاقات في المجتمع ألا وهي الإخلاف في الوعد وقد أفاد الشاعر من تجربته الخاصة فصاغ المثل بأسلوب شعري يتناسب مع ما يحمل النص من دلالات فساهم ذلك في إيصال الفكرة والمراد فيقول(٤):

لو لم أَكن أَشْعَبَ ما عُدتُ عن وُعُودِ عُرقُوب بلا نَفْعِ

إن براعةَ الشاغوري في استعمال اللغة وطوعها أمامه ،وتحت إيقاع شعوره مكّنته من خلق جانباً من اللغة يتصل إتصالاً حميماً بروح الموضوع المطروح،فنراه في الحب يأتي بالألفاظ العاشقة الولهى،وفي الحزن تئن الكلمات في تجاربه الحزينة ،وكذا الحال في الهجاء

---

(١) مجمع الأمثال، ابي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مؤسسة الآستانة ،الرضوية المقدسة، ج٢٠٥/١.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري: ٤١٧.

(٣) التناص في شعر صفيّ الدين الحلّيّ : ١٤٩.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري :٢٦٩.

فإنه يختار من الكلمات والألفاظ ما يناسب الحالة[١]ووفقاً لذلك تناص مع المثل "**مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ**[٢]، فالشاعر كتب هاجيا من استغلوه وخلفوا الوعد وأثّر ذلك في نفسه كثيرا ،واستخدم الشاعر الشرط متمثلا بالأداة" **لو**" والتي أفادت الامتناع للامتناع أي امتنعت المنفعة لإخلافهم الوعد، ونلحظ تكرار ضمير المتكلم "**أنا**" وجيء به مستترا دلالة على ملامته لنفسه وندمه وأكد ذلك الشرط وما قبل البيت فكلاهما فسر حالة الشاعر النفسية.

وفي موضعٍ آخر يتناص الشاعر مع مثلٍ عربي دالاً من خلاله على الثقة العالية بالنفس والاعتزاز بها من قبل الممدوح، وقد ساق النص على وفق المثل مبتدأ كلامه بالتوكيد، ومن خلال تكراره لفظة **عَيانُهُ** التي تعود على الممدوح نفسه وأيضًاً نلحظ استخدامه لام التوكيد المتمثلة في **لَهُ** ونستنتج من خلال كثرة التوكيد أن القول يطابق ما حمله هذا الشخص من صفات فيقول[٣]:

إنّي مُعَيْديُّ فَمنْ يَسْمَعْ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَراهُ عَيانُهُ

نلحظ توقف الشاعر عند المثل"**تَسْمَع بالْمُعِيدِي خَيرٌ مِنْ أَنْ تراه**"[٤] راسماً بذلك حال ممدوحه بصورة تجسد كل معاني الإباء فنراه" يصور بإحساسه وعينيه معاً، ومن هنا لا يجيء التشبيه لتحقيق التماثل والتناظر، وإنما لأنه جزء لا يتجزأ من التجربة الشعرية ولقد ساعد على امتلاء القصيدة ووفرة صورها وإيحائها ،وجمال لغتها التشكيلية أنها ركزت فيما ركزت على "شيء عيني" تحول إلى قيمة نفسية وجمالية"[٥]،ومن هذا المنطلق بيّن الشاعر ما يملك الممدوح من مؤهلات ومعطيات جعلت الشاعر يترجمها بهذا النص وحقق مرامه من خلال تفاعل المتلقي مع النص ومشيراً بذلك إلى فطنة ودهاء الممدوح وبراعته في نظم الشعر باللغة والأسلوب القريبة من نفس المتلقي.

وينتقي الشاعر اختياراته للأمثال العربية بعناية وحرص شديدين لا سيما ذات التأثير الإيجابي في نفس القارئ، فالشاغوري يمتلك أدوات تمكّنه من ذلك وتسهم في تعزيز معنى ومبنى تلك الاختيارات لا سيما تلك التي تسلط الضوء على الاغراض الاجتماعية

---

(١) ينظر: دراسات في النص الشعري (العصر العباسي)، عبده بدوي، مكتبة الشباب، مصر_ المنير، ١٩٩٧: ١٢٦_١٢٧.

(٢) مجمع الأمثال، ج٢/٣٦٧.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري :٤٩.

(٤) مجمع الأمثال، ج١/ ١٣٦.

(٥) دراسات في النص الشعري (العصر العباسي)، عبده بدوي:١٢٩.

وتحرك جوارح المتلقي واحاسيسه، واستخلاصاً لما سبق يتناص الشاعر مع المثل العربي"**مَنْ أَشْبَهَ أَباهُ فَمَا ظَلَم**"(١) الذي وظفه من خلال نصه قائلاً(٢):

لَكَ يا شَبيهَ أَبيهِ هِمَّتُهُ وَمَن يُشبِـه أَبـاهُ فَإِنَّــهُ لا يَظلِمُ

يتوافق المعنيان فيما يحملان من إشادة بفضل الأب على الابن ،وما لاحظناه إن ماضي الأشياء أجمل من حاضرها في أغلب الأحيان والواقع المعاش خير دليل على ذلك، وقد أفاد الشاعر من المثل في رسم وتكريس صورة الأب بأبهى صورة لا سيما وأن والد الممدوح كان ذو مكانة اجتماعية تاثيرية، وقد غيّر الشاعر الخطاب من الماضي إلى الحاضر ،ونلحظ استخدامه للمنادى النكرة المقصودة والمغزى من ذلك الإشارة إلى مكانة وجاه الأب،والعرب تقول الولد سر أبيه أي امتداد لهُ،واستخدم الشاعر أداة النفي التي نفت وقوع الظلم.ونراهُ يخالف المثل : ومن يشابهُ أبهُ فما ظلم ،والذي نطقته العربُ على لغة القصر ؛ لكن الشاعر أضطرّ الى تغيير النطق ؛ لسلامةِ وزن البيت الشعري .

ويقيم الشاعر تناصاً آخر مع المثل العربي وفق ما يملك من مخزون ثقافي مستعيناً بلغته في توظيف ذلك المثل، لاسيما وأن الشاغوري لديه مقدرات لغوية كبيرة فضلاً عن حافظة نادرة مكّنته من خزن تلك المقدرات والإحاطة بها،وإن قاموسه اللغوي ميّزه عن أقرانه في كيفية استخدام المفردة وجدوى توظيفها(٣)،وعلى هذا الأساس وظّف نصّه قائلاً(٤):

لا تَخشَ مِن سَيلِ الخُطوبِ أَذى إِذا جاوَرتَهُ وَالسَيلُ قَد بَلَغَ الزُبا

أتى التناصُ واضحاً مع المثل العربي"**بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى**"(٥) في تشكيل المثل ومضمونه مع ملاحظة التقديم في سياق المثل،استدعى الشاعر المثل وعكس معناه إيجاباً في حضرة الملك لا يوجد ظلم ولا تحمل نفسك ما لا طاقة لك ،فالنص موجه للمتلقي المخاطب واراد به صيغة الجمع لا تهتموا إذا نفذ صبركم أو تقلب الظروف بكم وتغير حالكم للأدنى فانه سيحمل عنكم حزنكم ويخفف عن كاهلكم بعطفه وكرمه وجوده، ونلحظ أستخدامه للشرط إذ أفاد منه لا تهتم لأمور الدنيا وتقلباتها إذا كنت جاره ،وان مجيء **قد** دل على تحقيق تحمل النفس فوق طاقتها، وأتى في البيت جناساً تاماً تمثل في مفردتيّ"**سَيلِ،السَيلُ**" حيث دلت

(١) مجمع الأمثال: ج٢/ ٣٥٤.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري :٤٥٥.

(٣) ينظر: لغة الشعر عند المعري (دراسة لغوية فنية في سقط زند)، زهير غازي زاهد، دار الشؤون العامة، بغداد ١٩٨٩ :٢١.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري :٣٦.

(٥) مجمع الأمثال: ج١/٩٦.

الأولى على ما تحمله مياه الأمطار معها عند جريانها، والثانية دلّت على الصبر والحزن والأمر الجَلل فالأولى محسوسة والثانية معنوية.

ثم يورد الشاغوري تناصاً مع المثل العربي يحمل صورةٌ فنّية تمتاز بديباجة حسنة، فيها دعوة إلى الشموخ والإباء بالنفس والثبات على المبادئ وعدم الإنجرار وراء المنافع ومغريات الحياة،وقد وظّف تناصه بأسلوب خالٍ من التكلفة قريب من نفس القارئ بعيدٌ عن التملق والتقليل من شأن الذات يقول فيه(١):

شَمَختُ مِنهُ إباءً عَنهُ مُزْدَرِياً بِهِ فَلا ناقَتي فيهِ وَلا جَمَلي

نجد الشاعر يتقاطع مع المثل"**لَا نَاقَتِي فِي هذا وَلَا جَمَلِي**" (٢)، رجح الشاعر سلطة العقل على العاطفة التي تمثل النفس والسعي وراء الأمور المادية واقفاً على الحياد والثبات صانعاً لنفسه مكانةٌ تعزوه عن بقية الشعراء،إذ تداخل مع مَثَلٍ يحمل كثير من الحكمة والمنطق، فالتداخل جاء في مكانه وأوانه لا سيما و"أن ظاهرة (تداخل النصوص) هي سمة جوهرية في الثقافة العربية إذ تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل ، وإن وقفة سريعة على طبيعة التأليفات العربية الأولى لتثبت لنا ذلك"(٣)، لا سيما وأن الامثال العربية ترتبط بقصص حدثت بالفعل،ونلحظ توجيه النص إلى عموم الامراء سيما وإنه بلغ من العمر ما يجعله لا يجامل أحداً أو يمدحه كذبا وهذا ما لمسناه في النصوص السابقة للبيت وجاء بلفظة مزدريا أي أنه منتقص منهم .

وفي تناص آخر مع المثل العربي استخدم الشاغوري براعته في توظيف المثل خدمة للتعبير عن حالته النفسية وما يجول في ذهنه ،وقد إتّكأ الشاعر على خزينه اللغوي، ليحرك من خلاله عواطف المتلقي، إذ قال فيه(٤):

سارَت بِهِم حداتُهُم لَكِنَّني أَوسَعْتُهُمْ سَبّاً وَراحوا بِالإبِلِ

يأتي التناص واضحاً مع المثل "**أَوْسَعْتُهُمْ سَبّاً وَأَوْدَوْا**" **بالإبل** "(٥) بيد أن الاختلاف بدا ظاهراً في تغيير مفردةِ **وَأَوْدَوْا** إلى **وَراحوا** فالأولى جاء معناها ذهب به أو أخذه،ودلت الثانية التي تضمن معناها الريح أي ذهب في مهب الريح فالأولى لها أثر والثانية بلا أثر وبذلك غيّر الشاعر دلالة الذهاب من المحسوس إلى المعنوي،وقد جسد المشهد بصورة شعرية ولغة عالية ولاحظنا وجود علاقة بين الصورة الشعرية واللغة ،إذ خلقت الصورة

(١) ديوان فتيان الشاغوري :٣٤٧.
(٢) مجمع الأمثال، ج٢/٢٦.
(٣) ثقافة الأسئلة :١١٩.
(٤) ديوان فتيان الشاغوري :٣٦٩.
(٥) مجمع الأمثال، ج٢/٤٢٨.

علاقات جديدة للألفاظ وأغنت بذلك الاستعمالات اللغوية،واللغة رغم محدوديتها التعبيرية تحكمت بالصورة فكلاهما قائم على مبدأ التأثر والتأثير بالآخر،وبذلك كشفت الدلالات النفسية للنص عن القيمة الجمالية والتي برزت من خلال التحليل[١] وأتى الشاعر بهذا المثل لما تركوه في نفسه من قهر وشجن،واستعمل الشاعر "لكنّني" التي اثبتت رحيلهم وناقضت ما ورد في صدر البيت لان السير يحدث أمام مرأى العين.

ويوظف الشاعر تناصاً يعبّر فيه عن وضعه النفسي المزري إذ نلمس في النص إشارة إلى العزلة والإبتعاد عن الناس لا سيما وأن الناس تزيّف الكلام وتنقل ما لا يمت للحقيقة بصلةٍ استدعى المثل"**مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ**[٢]، إذ برز في النص في قوله[٣]:

آلَيتُ لا أَسمَعُ فيهِم واشِياً يُزَخرِفُ القَولَ وَمَن يَسمَع يَخَل

يكشف النص عن إنطواء الشاعر حول نفسه واختياره الوحدة بعد فراقه لأحبته، واستخدم الشاعر تراكيب وألفاظ لها أبعاد دلالية نتجت عنها ردود أفعال لدى المتلقي، فمضمر النص يشير إلى أن الشاعر أراد الحفاظ على الأشياء والذكريات الجميلة خالية من التشويه والزيف،وقد استدعى ألفاظ لها وقع في نفس الملتقي وتحمل أكثر من معنى فبدأ كلامه بقسمٍ تمثل ب "آلَيتُ " وتعني أقسمت أو عقدت العهد على نفسي بأن لا اسمع أو ارى أحدا يخبرني عن حالهم وخص بالذكر من يزخرف القول أي الذي يكذب أو يضيف كلاما لم يحدث، والواشي كما معروف هو من ينقل الخبر بين أثنين مع تحريفه والتركيز على سلبيات الآخر.

أَستحضر الشاعر تناصاً آخر مع المثل العربي ووظفه في غرض الهجاء فأحسن توظيفه إذ أتى في المكان المناسب ، فعمد من خلاله على الاختصار وعدم الأسهاب وإيجاز ذلك بالمثل المستدعى قاصد منه، تقليل شأن المهجو وعدم الوثوق به من قبل الآخر ،فقال[٤]:

مَن يُرَجّي خَيراً مِن اِبنِ عُنَينِ لَم يَنَل مِنهُ غَيرَ خُفَّي حُنَينِ

(١) ينظر : بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٩٤ : ٥٠.

(٢) مجمع الأمثال، ج٢/٣٥٤.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري :٣٦٩.

(٤) المصدر نفسه :٥١٧.

نلحظ مجيء المثل"**رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْن**"[١]،في النص الشعري وعلى نفس المضمون فكلاهما يشير إلى أن الطمع والوثوق بالآخر يذهبا بصاحبه إلى التهلكة وبذلك حرص الشاغوري إلى أن"يستثير مخيلة القارئ ليصطاد المعنى المغيّب والفكرة المخاتلة التي يداريها الشاعر في طبقات من الترميز تستنهض أفق التوقع ليستجيب القارئ متأملا المغزى حافراً في حجبه غارقاً في أعماقه لعله يظفر بما أراد الشاعر" [٢]ان يفصح عنه او مسببات قوله،وجاءت " مَن" بمعنى "الّذي" فهي أسم موصول ونلحظ أن الأداة "لم" افادت دلالة النفي بما معناه الذي ينتظر الخير منه لن يحصل على شيء وشبه بنعليّ حُنَيْن. ونرى ورود جناسا ناقصا في النص تمثل في مفردتيّ" **غُنَينِ، حُنَينِ** "فالأولى معنية بالشخص المهجو والثاني إشارة إلى الحادثة التي أَنتقل منها المثل والمتمثل بنعلي حُنَيْن .

ويستحضر الشاعر مثلاً آخر يذم فيه ناسه لقلة ثناءهم عليه،وفيه يظهر مدى تذمره من قومه وممن شابهم في الصفات فقد وظف الشاعر المثل في نصه الجديد فجاء المثل والنص يحملان الشكل والمضمون نفسه ،يقول[٣]:

شَكَوتُ إِلى قَومٍ زَماني وَأَهلَهُ لِزُهدِهِم في مَلبَسِ المَدحِ وَالحَمدِ
فَقالـوا تَبَـدَّل عَنهُـمُ بِسِواهُـمُ فَقُلتُ لَهُـم في كُـلِّ وادٍ بَنو سَعدِ

نرى تناص الشاعر مع المثل" **بكُلِّ وادٍ بَنو سَعدِ**"[٤]،وقد حمل النص فكرة المثل القائمة على الذم لاسيما وأن الشاعر كان كثير التنقل و الاطلاع فرأى ان المجتمع يقلل من شأن ذي المكانة وبذلك حقق الشاعر في نصه ما كان يروم إليه إذ سلط الضوء على ظاهرة اجتماعية تسود معظم المجتمعات وقد وفق في اختياره للمثل فالشعراء ذو خبرة "باختيار ألفاظهم ،ودقتهم ومعرفتهم في الاختيار،كما تصور لنا شغفهم في استعمال الصورة البلاغية ، ومباراتهم في حسن الصياغة،وفي استعمال الألفاظ الموفقة ذات البهاء والرونق"[٥]،فالشاعر أراد أن يوصل رسالة مفادها أن الناس سواسية رغم اختلاف الثقافات لكن هناك صفات وطبائع تجمعهم. وقد التزم الشاعر بهذا المثل على حالهِ المنطوق – الذي نطقت بهِ العرب –

---

(١) مجمع الأمثال، ج٢/٣٠٨.

(٢) بنائية الصوغ الشعري ومقاصده (في تجربة الشاعر نوفل أبو رغيف)، نادية هناوي، دار المكتبة الأهلية، لبنان، ٢٠١٦: ٣٨.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري:١٢٣.

(٤) مجمع الأمثال،ج١/١١١.

(٥) النظرية النقدية عند العرب(حتى نهاية القرن الرابع الهجري)،هند حسين طه،دار الرشيد للنشر،بغداد١٩٨١: ١١٥.

في حين أنه فيهِ لحنٌ من الناحية النحوية ، فكلمة "**بنو**"وقعت مضافاً إليهِ ، والمعروف أن الأسماء الستة تُجر بالياء.

وفي تناصٍ آخر استحضر الشاغوري المثل العربي" **أحمق من رِجلةٍ**"[١] وقد جاء به بأسلوب واضح، إذ إتّكأ الشاعر على مضمون المثل في إيصال غايته، فيقول[٢]:

من لامَ لأن كبتِ البغلةَ فلذلك احمقُ من رِجْلَهْ

لِمَ لمْ تُصعق لما حمَلت تفصيل العالمِ والجُمْله

يحاول الشاعر في نصه الشعري تبرير سقوط الممدوح، منتقدا بذلك كل من يحاول لومه بل عمد الشاعر إلى تجميل ذلك السقوط بلغة شعرية محكمة، وقد شبه كل من ينتقد سقوطه بالأحمق وقد يستدعي الشاعر التشبيه الجاهز إذا ما أراد وصف أحدهم ،ويختار الأوصاف المتواترة في حال تطلب الأمر تمجيد أحدهم مستمدا ذلك من مخزونه ومحفوظه الشعري، ويتلاعب باللغة ليبلغ مراده ويكسب نصه جمالا وثراءً متنوعاً، ويخرج به إلى باحة التجربة الواسعة فيحس احساسا عميقا بسيطرته على اللغة[٣] ،وبذلك غيّر الشاعر دلالة سقوط الممدوح إيجابا من خلال اللغة واصفا الآخر بالسطحي غير المتزن لأنه لامَ الممدوح، وجاءت "من" موصولة بمعنى "الذي" وبذلك أفاد الخطاب العموم ولم يخصّ أحد بعينه، واستخدم "**ذلك** " وهو أسم إشارة يستخدم لمناداة البعيد والقصد منه ان الذي يلومه او يعاتبه هو أكثر حماقة من تلك النبتة السطحية التي تنبت في مجرى المياه.

إن تناص الشاعر مع الأمثال العربية وتوظيفها في نصوصه يعد مؤشراً إيجابيا وعاملا مهما يظهر فيه مدى ثقافة الشاعر بتراثه النثري (الشعبي)، وقد وظّف الشاعر تلك الأمثال بطريقة تشدّ المتلقي للنصّ وتبرز من خلالها الغاية أو المقصد الذي أراد الشاعر بيانه.

---

(١) مجمع الأمثال، ج١/٢٥٣.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري :٣٧٢.

(٣) ينظر: قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور،دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢: ١٥.

الخاتمة

أستحضر الشاعر المثل العربي ووظفه في غرض الهجاء فأحسن توظيفه إذ أتى في المكان المناسب، كما حاول الشاعر في نصه الشعري تبرير سقوط الممدوح، منتقدا بذلك كل من يحاول لومه بل عمد الشاعر إلى تجميل ذلك السقوط بلغة شعرية محكمة.

إن تناص الشاعر مع الأمثال العربية وتوظيفها في نصوصه يعد مؤشراً إيجابيا وعاملا مهما يظهر فيه مدى ثقافة الشاعر بتراثه النثري (الشعبي)، وقد وظّف الشاعر تلك الأمثال بطريقة تشدّ المتلقي للنصّ وتبرز من خلالها الغاية أو المقصد الذي أراد الشاعر بيانه.

ثبت المصادر

- أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفيتان تودوروف وآخرون، ترجمة:أحمد المديني، الدار البيضاء ،المغرب، ط٢، ١٩٨٩.
- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافة العامة ، بغداد ، ١٩٩٤م .
- بنائية الصوغ الشعري ومقاصده (في تجربة الشاعر نوفل ابو رغيف) ، نادية هناوي ، لبنان ، دار المكتبة الأهلية، ٢٠١٦م .
- التناص في شعر صفيّ الدين الحلّي، مقداد خليل قاسم الخاتوني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن،عمان،٢٠٢٣م.
- ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية) ، عبد الله الغذامي القاهرة ، دار سعاد الصباح ، ط٢، ١٩٩٣م .
- دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) ، عبده بدوي، مكتبة الشباب ، المنيرة ،١٩٧٧م.
- ديوان فتيان الشاغوري ، عبد الرحمن النجدي ، تحقيق أحمد الجندي ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٧٦م .
- الرؤية الداخلية للنص الشعري(محاولة في تأصيل منهج) ، أنس داود ، دار الجبل للطباعة،الفجالة،١٩٧٥م .
- قراءة جَديدَة لِشعرنا القَديم ،صلاح عبد الصّبور، دار العودة،بيروت،ط٣، ١٩٨٢م .
- لسان العرب ، ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر، بيروت ،ج.٧ ،١٩٩٣ . (نصص).
- لغة الشعر عند المعري(دراسة لغوية فنية في سقط الزند) ، زهير غازي زاهد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م.
- مجمع الأمثال ، ابي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، تعليق :حسبن الزرزوري ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ج٢،ط٢، ٢٠٠٤م .
- مجمع الأمثال ، ابي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المعاونية الثقافية للأستانة، الرضوية المقدسة، ج١ ، د.ن.
- النظرية النقدية عند العرب (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، هند حسين طه ، دار الرشيد للنشر، بغداد ،١٩٨١م.